خطبة الإمام الباقر (عليه السلام) في مجلس هشام بن عبد الملك

لما حمل الإمام الباقر (عليه السلام) إلى الشام ، إلى هشام بن عبد الملك ، وصار ببابه ، قال هشام لأصحابه : إذا سكتت من توبيخ محمّد بن علي فلتوبخوه ، ثمّ أمر أن يؤذن له ، فلمّا دخل عليه أبو جعفر ، قال بيده : (السلام عليكم) ، فعمّهم بالسلام جميعاً ، ثم جلس .

فازداد هشام عليه حقداً بتركه السلام عليه بالخلافة ، وجلوسه بغير إذن ، فقال : يا محمّد بن علي : لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين ، ودعا إلى نفسه ، وزعم أنّه الإمام سفهاً وقلّة علم ، وجعل يوبّخه ، فلمّا سكت أقبل القوم عليه رجل بعد رجل يوبّخونه .

فلمّا سكت القوم ، نهض (عليه السلام) قائماً ، ثمّ قال : (أيّها الناس : أين تذهبون ؟ وأين يراد بكم ؟ بنا هدى الله أوّلكم ، وبنا ختم آخركم ، فإن يكن لكم ملك معجّل فإنّ لنا ملكاً مؤجّلاً ، وليس بعد ملكنا ملك ، لأنّا أهل العاقبة ، يقول الله عزّ وجل : (والعاقبة للمتقين) .

فأمر به إلى الحبس ، فلم يبق رجل إلاّ قام بخدمته وحسن عليه ، فجاء صاحب الحبس إلى هشام ، وأخبره بخبره ، فأمر به فحمل إلى البريد هو وأصحابه ، لكي يردّوا إلى المدينة المنوّرة .